عبد الستار سليم
وإضاءات نقدية وإبداعية

د. بسيم عبد العظيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين، والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد

فإنه من دواعي سروي حضورهذا المهرجان الجميل لملتقى إضاءات نقدية وإبداعية الذي يقوم عليه الأديب الكبير الأستاذ أحمد إسماعيل إسماعيل، ومقره بالقنطرة غرب، على شاطئ قناة السويس

التي رويت بدماء المصريين منذ حفرها وحتى يومنا هذا، ولكن أصداءه تتردد في نواحي مصرنا الحبيبة وسائل التواصل الاجتماعي الحديثة (الفيسبوك)، الذي قرب المسافات بين المبدعين والنقاد حول العالم، وعبر المهرجانات التي يعقدها في ربوع الوطن، ومنها هذا المهرجان الذي يستضيف قامة شعرية شامخة في الفصحى والعامية على السواء، وهو اختيار موفق من الأستاذ أحمد إسماعيل في وقت تعملق فيه أقزام الفكر والأدب ليؤكد على أن الأصالة والريادة لها احترامها وتقديرها، فقد بادرت دار الهلال بطبع الأعمال الكاملة: شعر الفصحى، للشاعر الكبير عبد الستار سليم منذ أشهر قليلة واحتفت بها دار الهلال ومعرض القاهرة الدولي للكتاب والمجلس الأعلى للثقافة، وكان لي شرف المشاركة في هذه الفعاليات الثلاث بقراءة عجلى ونظرة طائر لأعمال شاعرنا الفصحى.

ويأتي هذا اللقاء الجميل ليحتفى بشاعرنا الكبير مقدرا دوره في خدمة شعر العامية المصرية وفن الواو، لتكتمل صورة المبدع المصري الأصيل عبد الستار سليم، الذي سطا بعض أدعياء الشعر على شعره فانتحله، ولكن النقد والقضاء المصري أنصفا شاعرنا وردا له اعتباره.

وحين دعيت للمشاركة في هذا اللقاء انتابتني رهبة مبعثها أنني ناقد كاديمي وشاعر أكتب بالفصحى، وإن كنت أحب شعر العامية وأتذوقه وأستمع إليه وأطالعه مكتوبا، ولي بعض القصائد العامية القليلة ـ على استحياء ـ بل قدمت لبعض الشعراء أعمالهم مثل الشاعرين طاهر صقر ومصطفى فريد.

ولست بدعا في ذلك فقد سبقني عدد من النقاد الذين احتفوا بشعر العامية المصرية، فكتبوا عن شعرائها مثل المرحوم الشاعر والناقد الكبير الدكتور كمال نشأت، والناقد والشاعر الكبير الدكتور يسري العزب الذي كرس حياته لشعر العامية نقدا وإبداعا.

ولعلي هنا أستأنس بما قاله المرحوم الدكتور كمال نشأت في مقدمة كتابه: "عاميتنا الجميلة: دراسة نقدية في دواوين عامية" إذ يقول عن قضية الفصحى والعامية:

قضية الفصحى والعامية قضية قديمة، وقد كانت مثارة في أوائل القرن العشرين، وما زلنا نتذكر مقولة شوقي إنه يخشى على الفصحى من بيرم التونسي..والحقيقة أن الذين يتناولون هذه القضية يبالغون في الخوف على الفصحى، حيث لا خوف هناك على الإطلاق، فالعامية (لهجة) وليست (لغة)، والفصحى لغة يؤيدها ويحفظها القرآن الكريم، ولها تاريخ عريض، إذ هي المعبرة عن عبقرية أمة أفصحت عن وجدانها في شعر كان ديوان حياتها، وهي التي يلجأ إليها المؤلفون والكتاب والأدباء في كل مجال يمس العلوم والفنون والآداب، والعامية هنا لا تفي بمتطلبات التعبير العلمي والأدبي والثقافي عامة، ولهذا تظل تعيش عبر الأجيال على ألسنة الناس لقضاء حاجاتهم اليومية، كما تعيش عبر هذه الأجيال على مستواها الفني في مجال الشعر الشعبي والأغنية والمسرح الشعبي والمسلسلات التلفزيزنية" (عاميتنا الجميلة ص 1-2)

ويضرب أمثلة على العامية الجميلة في مقدمة كتابه من أغاني صلاح جاهين ومرسي جميل عزيز وبعض كتاب الأغنية العامية.

كما يرى أن الشعر المصري ثروة قومية فصيحا وعاميا، فليسكت كل من يصنع سدودا بينهما، وينهي مقدمته القيمة لكتابه القيم: عاميتنا الجميلة قائلا:

إن قضية الفصحى والعامية والخوف على الفصحى من العامية وهم من الأوهام، والخطر الأكبر الداهم هو مسألة الانفتاح على أن تكون في مصر جامعات أجنبية تتولى تعليم أبناء مصر بلغتها كجامعات انجلترا وفرنسا وكندا واليابان وروسيا إلخ..لأن هذه الجامعات ستبعد أبناء مصر عن لغتهم القوميةبما تقدم لهم من

وظائف مرموقة ومستقبل أكثر رغدا مما تقدمه الجامعات المصرية..هنا يتحقق الخوف على اللغة الفصحى وهي عماد الشخصية القومية...ولندع الوهم الذي لازال هناك من يناقشه وهو الخوف على الفصحى من العامية خاصة بعد أن بينت عند حديثي عن القصيدة العامية أنها شقيقة القصيدة الفصيحة، وطبيعي أن مجال التفوق في القصيدتين يحتم أن تكون الموهبة الشعرية المنجبة وراء كل واحدة منهما، فما أكثر الغثاء الذي يكتب تحت اسم القصيدة الفصحى وكذلك القصيدة العامية.(عاميتنا الجميلة ص 13 -14).

وحين كتبت عن شاعرنا الكبير عبد الستار سليم قرأت أن له ديوانين بالعامية هما: أنا والموجة والتيار عام 1981م، والنقش على المية 1982م.

سبق أن كتبت في تقديمي لديوان: سايق عليكي النبي للشاعر طاهر صقر، إن الشاعر الحق هو من يعكس أحوال مجتمعه في شعره سواء أكان من شعراء الفصحى أم العامية، وينطبق هذا الكلام على شاعرنا الذي نحتفي به اليوم، عبد الستار سليم في أعماله الفصحى والعامية على السواء بل وفي منجزه الإعلامي حيث يقدم الشعراء المبدعين من أرجاء مصرنا الحبيبة، وقد رأيت بعيني حب الشعراء لعبد الستار سليم في مواطن عدة فغبطته على هذا الحب.

ومما يحسب للشاعر الكبير والباحث في التراث الشعري العربي عبد الستار سليم، أنه نفض الغبار عن فن الواو الذي كاد أن يندثر، فقام بالتعريف به وقدم دراسات مستفيضة عنه، وقام بتطويره وأصدر ديوانا شعريا من تأليفه بعنوان: "واو عبد الستار سليم"، وفن الواو.. فن شعبي انتشر في صعيد مصر, وكأن الشاعر يلجأ إليه للتورية.. وهو فن تلقائي غير مدون, لكنه يحفظ في صدور رواته..

ففي الأداء تنكشف كل الأحبال الصوتية والناتجة عن الجناس الكامل في قوافيه وصوره التي تتشكل في مربعات حسب تعبيرات شعرائه.. وهناك نوعان من المربعات هما: المربع المفتوح الذي يسهل فهمه والمربع المغلق الذي يستعصي علي الفهم إلا لأهل المنطقة التي يقصدها الشاعر.

يقول الشاعر الغنائي عبدالستار سليم ـ أحد رواد فن الواو ـ إنه سمي بهذا الاسم, لأن الراوي يكرر فيه عبارة: و.. قال الشاعر.. عارضا نماذج توضيحية لبعض رواده منهم ابن عروس الذي يقول:

لابد من يوم معلوم
ترد فيه المظالم
أبيض علي كل مظلوم
اسود علي كل ظالم

ومن مربعات شاعرنا عبد الستار سليم
في هذا الفن قوله:
من مُدّة ع النيل ما بِـنّـا
ولا طيفـُه داعب جفوني
إيه اللى بعّد ما بينا
شكِّك دا .. ولاّ ظنوني..؟
******
من مُدّة ع النيل ما بِـنّـا
ولا جـَوُّه عطـّر تيابي
إيه اللى بعّد ما بينا
شكِّك دا .. ولاّ ارتيابي ..؟
******
غبَّـر فى وشّـي بابورك

عاملالي لمّة وغارة
رميتينى فاخر طابورك
وبلعني ليل المغارة
******
وسْمِـنْـتي واحنا ضمايـر
فا .. قولي لي إيه العبارة؟
و .. رَهـنْـتي كل الضمايـر
يا مين يشوف الفقارا؟
******
كان ليـَا غيطي وجُـرْني
سايرين على خـَـطّ أبونـا
خـَـلـُـونى هـدّيت فـُـرْنى
واسْـتَـنـَّى عيش الطابونة
العِـرْق للعِـرْق دسّـاس
والضلمة ما تنجليلا
إحذر إذا كنت "جسّـاس"
من "هجرس" ابن الجليلة "
******
العِـرْق للعِـرْق دسّـاس
والحرب تبْدِى بخناقة
والدمّ إن يغـْـلى دا السّاس
و"كليب" غوتر فى ناقة
******
دا الهمّ ينشال فى الشِّـنـْـف
والفرْح من خمس أواقى
وعزيمة الراجل الهِـلـْـف

تشبه حشيش السواقى
******
السبع ياكل بكُّده
والكلب ياكل البواقى
دا السبع لا الهلْف كُّده
ولا خطّـافين الطّـواقى
******

القول صادق يا كدّاب
والسّـكـّـة عِدْلة يا عوجة
هوَّ فى عقلـُه يا كدّاب
جاهل وعامل لى خوجة

تحية تقدير واحترام لشاعرنا الكبير عبد الستار سليم، ولجماعة إضاءات نقدية وإبداعية، برئاسة الشاعر الأديب الأستاذ أحمد إسماعيل إسماعيل، والشكر موصول على هذه الدعوة الكريمة لي في هذا الملتقى الأدبي الجميل.

الدكتور
بسيم عبد العظيم عبد القادر
قسم اللغة العربية
كلية الآداب ـ جامعة المنوفية
مساء الخميس
15 من مارس 2018م